

متشابه الصفات واختلاف العلماء فيه

إعداد

أ.د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا

جامعة الأزهر

متشابه الصفات واختلاف العلماء فيه

أحمد إمام عبد العزيز عبيد
قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة، طنطا، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني : ahmed.obeid27@azhar.edu.eg

الملخص :

يتناول هذا البحث موضوعًا هامًّا من موضوعات علوم القرآن وهو متشابه الصفات الذي يتفرع من المحكم والمتشابه وقد تناولت الحديث فيه أولًا عن تعريف المحكم والمتشابه وبيان المراد بمتشابه الصفات والفرق بين متشابه الصفات وغيره من الصفات الأخرى، ثم تحدثت عن مذهب أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات، وبينت أقوالهم الثلاثة في هذا الموضوع (التفويض والتأويل والتوسط بين التفويض والتأويل)، ثم خلصت إلى رجحان الأقوال الثلاثة لأهل السنة والجماعة جميعها، وأن من يعتقد أحدها لا يُنكر عليه، ثم بينت مذهب بعض الفرق الأخرى في متشابه الصفات، مثل المشبهة والمجسمة، وبينت ضلال هذه الفرقة وبُعدها عن الجادة والصواب، ثم بينت مذهب الإمام ابن تيمية في متشابه الصفات (الإثبات مع عدم التشبيه والتمثيل) وبينت خطأه – رحمه الله تعالى – في هذه القضية، وأنه قد جانبه الصواب، لكن خطأه أقل وطأة وأخف ضررًا من المشبهة والمجسمة، ثم ذكرت نماذج من بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن متشابه الصفات، وهي قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥)، وقوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ (الفتح: ١٠)، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٦ _ ٢٧)، وقمت بتفسيرها ودراستها وبيان أقوال المفسرين والعلماء فيها.

وقد توصلت إلى بعض النتائج، منها:

١ – أن مذهب أهل السنة والجماعة بآرائه الثلاثة في متشابه الصفات هو الصواب والأسلم، وعلى المسلم أن يختار منها ما شاء، ولا يُنكر على من اتبع أحدها.

٢ – من الممكن أن يُرجح رأي من الآراء الثلاثة لأهل السنة والجماعة في بعض الآيات، ويُرجح آخر في آيات أخرى.

٣ – في بعض الآيات يكون الغرض الأساسي من الآية شيء آخر غير ما اختلف فيه العلماء، حيث يكون ذكره عرضًا وليس أساسًا في الآية.

الكلمات المفتاحية: المحكم والمتشابه – متشابه الصفات – الصفات الخبرية – المفوِّضة – المؤوِّلة – المشبهة والمجسمة – الإثبات مع نفي التشبيه.

The Confusing Attributes of Allah And The Different Posisions of Moslim Scholars Concerning Them

Ahmad Imam Abdul Azeez Obeid
the department of Tafseer and Quranic Sciences in the Faculty of Religion Fundamentals and Islamic Reclamation – Al-Azhar university
E-mail ahmed.obeid27@azhar.edu.eg

Abstract :

This research treat a very important subject of the Quran Sciences . It is The confusing attributes of Allah which is a branch of The controlled and confusing attributes of Allah. I began treating it first by identification of The controlled and confusing attributes of Allah, clarifying what is meant by The confusing attributes of Allah, and the difference between The confusing attributes of Allah and other attributes of Allah. Then I showed the posision of the oeople of Sunna and Community in The confusing attributes of Allah , pointing to their three opinions in this subject (Tafweed, Taaweel and the medium between Tafweed and Taaweel). I came to a conclusion that all the three opinions of the people of Sunna and Community are preferable , and any person adopts one of them is not to be blamed. Then I showed the position of other sects in The confusing attributes of Allah like Al-mushabehah and Al-Mugassimah, and affirmed their delusion and deviation from the truth. After that I showed the position of Ibn – Taymyiah concerning the confusing attributes of Allah(the confirmation of the confusing attributes of Allah with negation of similarity and formation, and showed his error (Let Allah grant him mercy), and that he was deviated from truth, but his error is less harmful than Al-Mushabehah and Al-Mugassimah.Then I mentioned examples of some Quranic ayats Which treat The confusing attributes of Allah such as : (The All-Merciful was settled on the Throne) (The hand of Allah is over their hand) and (still existed the Face of Allah, the 0wner of Majesty and Generosity) . I have explained and studied these ayats and mentioned the opinions of scholars about them. I have concluded these results :

1 – The position of the people of Sunna and Community with its three opinions is confident and truthful, and any Moslim can choice any of them without any rejection.

2 – One can prefer one of these three opinions of the people of Sunna and Community in some ayats , while another one can prefer another opinion in other ayats .

3- The essential goal in some ayats is another thing than what the scholars differentiate about it , as its mention is by chance and not essential in the ayat.

Keywords: The controlled and confusing attributes of Allah, The confusing attributes of Allah,The information attributes of Allah, Al-mufawedah, Al-muawelah, Al-mushabehah, Al-mugassimah,the confirmation of the confusing attributes of Allah with the negation of similarity

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن هذا هو سادس بحث أَشْرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر الشريف.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ من جهة تعلقه بجانب مهم جدًا، يتمثل في متشابه الصفات الذي يتفرع عن موضوع المحكم والمتشابه، وهو من مواضيع علوم القرآن، وقد كان الخلاف في موضوع متشابه الصفات قديمًا جديدًا، لا يخلو منه عصر ولا مصر، وكل يتمسك برأيه معتقدًا أنه الصواب دون غيره من الآراء؛ لذلك استخرت الله – عز وجل – ثم استعنت به – تعالى – وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة

١ – رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات للإمام أبي الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن البصري ابن اللبان.

٢ – أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي.

٣ – قضية المحكم والمتشابه لمحمود عبد الرازق الرضواني.

٤ – المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي.

٥ – المتشابه في القرآن الكريم دراسة تحليلية تفصيلية تطبيقية لزياد عمر حمد محمود بوحليمة.

٦ – تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية لعيسى بن عبد الله بن محمد مانع الحمير.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث قمت بتتبع أقوال العلماء في متشابه الصفات، ودراستها، وتحليلها، والحكم عليها.

هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة:

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن: أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث، وهيكله.

وأما التمهيد فقد تناولت الحديث فيه عن:

أولًا: **تعريف المحكم والمتشابه.**

ثانيًا: **بيان المراد بمتشابه الصفات.**

ثالثًا: **الفرق بين الآيات التي تتحدث عن متشابه الصفات والآيات التي يبدو من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين.**

وأما الفصل الأول فبعنوان: مذهب أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات،

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: **مذهب السلف (المفوِّضة) في متشابه الصفات.**

المبحث الثاني: **مذهب الخلف (المؤوِّلة) في متشابه الصفات.**

المبحث الثالث: **مذهب المتوسطين بين السلف والخلف في متشابه الصفات.**

المبحث الرابع: **الرأي الراجح من آراء أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات.**

وأما الفصل الثاني فبعنوان: مذاهب بعض الفرق الأخرى في متشابه الصفات.

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: **مذهب المشبهة والمجسمة في متشابه الصفات.**

المبحث الثاني: **مذهب الإمام ابن تيمية في متشابه الصفات.**

وأما الفصل الثالث فبعنوان: نماذج من بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن متشابه الصفات.

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥).

المبحث الثاني: قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ (الفتح: ١٠).

المبحث الثالث: قوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٦ – ٢٧).

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث.

ثم ذيّلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، رتبته أبجدياً، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها.

ثم آخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

ويحتوي على:

أولًا: تعريف المحكم والمتشابه.

ثانيًا: بيان المراد بمتشابه الصفات.

ثالثًا: الفرق بين متشابه الصفات وغيره من الصفات.

أولا: تعريف المحكم والمتشابة

تعريف المحكم والمتشابه في اللغة:

المحكم: اسم مفعول من أحكم ومادة الإحكام جاءت في اللغة لمعان متعددة لكنها ترجع إلى شيء واحد وهو المنع، يقول الإمام ابن فارس: " الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها يقال حَكَمْت الدابةَ وأحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه، إذا أخذت على يديه، قال جرير:

أبَنِي حَنيفة أحْكِمُوا سُفهاءَكم *** إنّي أخاف عليكم أن أغْضَبَا

والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكَّمت فلاناً تحكيماً منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه. والمحكَّم: المجرِّب المنسوب إلى الحكمة. قال طرفة:

ليت المحكَّمَ والموعوظَ صَوْتَكُما *** تحتَ التُّرَاب إذا ما الباطلُ انكشَفَا

أراد بالمحكَّم الشيخَ المنسوبَ إلى الحكمة" (١).

المتشابه: اسم فاعل من تشابه، ومادة التشابه تدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدية للالتباس غالبا، يقول الإمام ابن فارس " الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهَات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ، إذا أَشْكَلاَ (٢).

ويقول الشيخ الزرقاني: "وكذلك يستعمل اللغويون مادة التشابه فيما يدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس غالبا يقال تشابها واشتبها أي أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ويقال أمور مشتبهة ومشبهة على وزان معظمة أي مشكلة والشبهة بالضم الالتباس ويقال شبه عليه الأمر تشبيها أي

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٢ صـ ٩١، ٩٢، ويُنظر لسان العرب للإمام ابن منظور ج١٢ صـ ١٤٠ وما بعدها، وتاج العروس من جواهر القاموس للإمام الزبيدي ج٣١ صـ ٥١٠ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٣ صـ ٢٤٣، ويُنظر لسان العرب للإمام ابن منظور ج١٣ صـ ٥٠٣ وما بعدها.

لبس عليه بضم الأول وتشديد الثاني مع كسره في الفعلين ومنه قول الله سبحانه وصفا لرزق الجنة {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً} (البقرة: ٢٥) ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: ٧٠) [١].

القرآن محكم ومتشابه:

جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم إذ قال سبحانه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)، وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه إذ قال جل ذكره: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ (الزمر: ٢٣)، وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه إذ قال عز اسمه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ (آل عمران: ٧).

وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تعارضًا بين الآيات الثلاث، لكن في الحقيقة ليس هناك تعارض بينها؛ إذ أن كلا منها باعتبار معين، يقول الإمام السيوطي: "وَقَدْ حَكَى ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مُحْكَمٌ لِقَوْلِهِ تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} الثَّانِي: كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ} الثَّالِثُ: وَهُوَ الصَّحِيحُ انْقِسَامُهُ إِلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ لِلْآيَةِ الْمُصَدَّرِ بِهَا، وَالْجَوَابُ عَنِ الْآيَتَيْنِ أَنَّ الْمُرَادَ بِإِحْكَامِهِ إِتْقَانُهُ وَعَدَمُ تَطَرُّقِ النَّقْصِ وَالِاخْتِلَافِ إِلَيْهِ وَبِتَشَابُهِهِ كَوْنُهُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالْإِعْجَازِ وَقَالَ: بَعْضُهُمْ الْآيَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ فِي الشَّيْئَيْنِ إِذْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ طُرُقِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} وَالْمُحْكَمُ لَا تَتَوَقَّفُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْبَيَانِ وَالْمُتَشَابِهُ لَا يُرْجَى بَيَانُهُ" [٢].

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٧٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ٣، ويُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٧١.

الخلاصة:

أن المحكم في اللغة يدور معناه حول المنع والمتشابه يدور معناه على المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدية للالتباس غالبا، وأن القرآن الكريم كله محكم باعتبار إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه، وكله متشابه باعتبار تشابهه في الحق والصدق والإعجاز، وبعضه محكم باعتبار وضوح معناه والمراد منه، وبعضه متشابه باعتبار خفاء معناه والمراد منه.

تعريف المحكم والمتشابه في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف المحكم والمتشابه في الاصطلاح، وتنوعت عباراتهم في ذلك، يقول الشيخ/ الزرقاني: "يختلف العلماء في تحديد معنى المحكم والمتشابه اختلافات كثيرة:

١ – منها أن المحكم هو الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل النسخ أما المتشابه فهو الخفي الذي لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور وقد عزا الألوسي هذا الرأي إلى السادة الحنفية.

٢ – ومنها أن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل أما المتشابه فهو ما استأثر تعالى بعمله كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور وينسب هذا القول إلى أهل السنة على أنه هو المختار عندهم.

٣ – ومنها أن المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا من التأويل أما المتشابه فهو ما احتمل أوجها ويعزى هذا الرأي إلى أن ابن عباس ويجري عليه أكثر الأصوليين.

٤ – ومنها أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان أما المتشابه فهو الذي لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى بيان فتارة يبين بكذا وتارة يبين بكذا لحصول الاختلاف في تأويله ويحكى هذا القول عن الإمام أحمد رضي الله عنه.

٥ – ومنها أن المحكم هو السديد النظم والترتيب الذي يفضي إلى إثارة المعنى

المستقيم من غير مناف أما المتشابه فهو الذي لا يحيط العلم بمعناه المطلوب من حيث اللغة إلا أن تقترن به أمارة أو قرينة ويندرج المشترك في المتشابه بهذا المعنى وهو منسوب إلى إمام الحرمين.

٦ – ومنها أن المحكم هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان أما المتشابه فنقيضه وينتظم المحكم على هذا ما كان نصا وما كان ظاهرا وينتظم المتشابه ما كان من الأسماء المشتركة وما كان من الألفاظ الموهمة للتشبيه في حقه سبحانه وقد نسب هذا القول إلى بعض المتأخرين، ولكنه في الحقيقة رأي الطيبي .....

٧ – ومنها أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل ويعزى هذا الرأي إلى الإمام الرازي واختاره كثير من المحققين [١].

تعقيب وترجيح:

أرى – والله تعالى أعلم – أن الأقوال كلها متقاربة وهي تدور حول المعنى اللغوي لكل من المحكم والمتشابه، ولعل أقربها وأولاها بالقبول كما يرى الشيخ/ الزرقاني تعريف الإمام الرازي بأن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل؛ لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه وإلى عدم وضوحه، وتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية، لا يدخل في المحكم ما كان خفيا ولا في المتشابه ما كان جليًا؛ لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاء تاما في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح، والذي أعلن لنا منه أن الراجح ما كان واضحا لا خفاء فيه وأن المرجوح ما كان خفيا لا جلاء معه [٢].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ الزرقاني ج٢ صــ ٢٧٢، وما بعدها، ويُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صــ ٣، ٤.

(٢) يُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صــ ٢٧٥، ٢٧٦.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يظهر جليًا العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحكم فظهوره يمنع من إرادة غيره معه، أما المتشابه فخفاؤه يؤدي إلى الاشتباه والإشكال.

أنواع المتشابه:

قسم الشيخ الزرقاني المتشابه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعا أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

النوع الثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها مما سبق.

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم ولذلك أمثلة كثيرة من المعاني العالية التي تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله [١].

---

(١) المرجع السابق ج٢ صـ ٢٨١، ٢٨٢.

ثانيًا: المراد بمتشابه الصفات

المراد من «متشابه الصفات» الآيات المشكلة الواردة في شأن الله تعالى، مما قد توهم – من لم يتمعن الكلام – تشبيه الله تعالى بخلقه، كقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه: ٥)، وقوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ (الفتح: ١٠)، وغير ذلك، وتسمى أيضًا «آيات الصفات» [١].

وقد اختلف العلماء في متشابه الصفات اختلافًا كثيرًا؛ حيث كثر فيه القيل والقال؛ وكان ولا زال مجالًا للاختلاف حتى يومنا هذا؛ ولأهميته أفرده بعض العلماء بالتصنيف، منهم الإمام ابن اللبان وسماه (رد المتشابهات إلى الآيات المحكمات) كما تناوله كثير من العلماء بالحديث، خاصة من صنفوا في علوم القرآن؛ وهذا ما دفعني للبحث فيه كما قلت في المقدمة.

(١) يُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج٢ صـ ٢٨٦، وعلوم القرآن الكريم لنور الدين عتر صـ ١٢٥.

ثالثًا: الفرق بين الآيات التي تتحدث عن متشابه الصفات والآيات التي يبدو من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين.

وردت بعض الآيات القرآنية التي يبدوا من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين، مثل قوله تعالى ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة: ٨٠)، وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)، وقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح: ١٨) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تثبت لله تعالى بعض الأفعال التي تشبه أفعال المخلوقين، لكن هناك فرقًا بين هذه الآيات ومتشابه الصفات من ناحيتين:

أولًا: أن متشابه الصفات يقتضي مشابهة الله تعالى للمخلوقين من ناحية الجسمية؛ فالآيات التي تتحدث عن متشابه الصفات لو أثبتنا ظواهرها للزم إثبات الجسمية لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بخلاف الآيات السابقة التي لا تقتضي إثبات الجسمية لله تعالى.

ثانيًا: أن غالب هذه الآيات جاءت بصيغة الفعل بينما غالب آيات متشابه الصفات جاء على صيغة الإضافة مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ ﴾ (المائدة: ٦٤)، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠).

ولذلك فإن العلماء اختلفوا في متشابه الصفات اختلافًا كبيرًا، بينما لم يرد عنهم اختلاف كبير في الآيات الأخرى، ففسروا معانيها بما يتفق مع جلال الله تعالى وكماله.

الفصل الأول
مذهب أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مذهب السلف (المفوِّضة) في متشابه الصفات.

المبحث الثاني: مذهب الخلف (المؤوِّلة) في متشابه الصفات.

المبحث الثالث: مذهب المتوسطين بين السلف والخلف في متشابه الصفات.

المبحث الرابع: الرأي الراجح من آراء أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات.

تمهيد:

قبل أن أبين مذهب كل من السلف والخلف والمتوسطين بينهما من أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات يجب عليّ أولًا أن أبين بعض الأمور.

أولًا: أمور اتفق عليها العلماء في متشابه الصفات:

اتفق العلماء على بعض الأمور عند تناولهم لمتشابه الصفات، وهي استحالة ظواهرها ووجوب صرفها عن معناها، ووجوب التأويل في حال الدفاع عن الإسلام، ووجوب تأويل المتشابه الذي ليس له إلا تأويل واحد قريب، يقول الشيخ الزرقاني: "فأول ما اتفقوا عليه صرفها عن ظواهرها المستحيلة، واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعا كيف؟ وهذه الظواهر باطلة بالأدلة القاطعة وبما هو معروف عن الشارع نفسه في محكماته. ثانيه أنه إذا توقف الدفاع عن الإسلام على التأويل لهذه المتشابهات وجب تأويلها بما يدفع شبهات المشتبهين ويدرأ طعن الطاعنين. ثالثه أن المتشابه إن كان له تأويل واحد يفهم منه فهما قريبا وجب القول به إجماعا، وذلك كقوله سبحانه: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعا وليس لها بعد ذلك إلا تأويل واحد هو الكينونة معهم بالإحاطة علما وسمعا وبصرا وقدرة وإرادة [(١)].

ثانيًا: اختلاف العلماء في تفسير قول الله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

اختلف العلماء في معنى الواو في قوله تعالى (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ) هل

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج٢ صـ ٢٨٦، وقد ذكر الأمرين الأولين الدكتور/ محمد بكر إسماعيل، يُنظر دراسات في علوم القرآن صـ ١٩٣.

هي للاستئناف أو للعطف فإن كانت للاستئناف فالراسخون في العلم لا يعلمون تأويله وإنما يفوضون العلم لله تعالى ويقولون (ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ) وإن كانت للعطف فالراسخون في العلم يعلمون تأويله، يقول الإمام السيوطي: " اخْتُلِفَ هَلِ الْمُتَشَابِهُ مِمَّا يُمْكِنُ الِاطِّلَاعُ عَلَى عِلْمِهِ أَوْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَلَى قَوْلَيْنِ مَنْشَؤُهُمَا الِاخْتِلَافُ فِي قَوْلِهِ: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} هَلْ هُوَ مَعْطُوفٌ وَ{يَقُولُونَ} حَالٌ أَوْ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ {يَقُولُونَ} وَالْوَاوُ لِلِاسْتِئْنَافِ وَعَلَى الْأَوَّلِ طَائِفَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} قَالَ: أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} قَالَ: يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ: {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ وَلَوْ لَمْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَهُ لَمْ يَعْلَمُوا نَاسِخَهُ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَلَا حَلَالَهُ مِنْ حَرَامِهِ وَلَا مُحْكَمَهُ مِنْ مُتَشَابِهِهِ. وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ النَّوَوِيُّ فَقَالَ: فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ إِنَّهُ الْأَصَحُّ لِأَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يُخَاطِبَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِمَا لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ. وَقَالَ: ابْنُ الْحَاجِبِ: إِنَّهُ الظَّاهِرُ" (١).

بناء على ما سبق يتضح أن القول الأول في معنى الواو أنها للعطف، وهذا يدل على أن العلماء يعلمون المتشابه، ولأصحاب هذا الرأي أدلة على ذلك وهي عبارة عن روايات عن بعض السلف كابن عباس ومجاهد والضحاك رضوان الله عليهم تُفيد أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، وهو رأي بعض العلماء.

أما القول الثاني في معنى الواو فهو رأي الجمهور من الصحابة والتابعين أن الواو للاستئناف وبناء عليه فإن العلماء لا يعلمون المتشابه ولهذا الرأي أدلة كثيرة وهي عبارة عن قراءات شاذة تؤيد أن الواو للاستئناف كقراءة أبي بن كعب {يَقُولُ الرَّاسِخُونَ} وقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: {وَإِنْ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـــ ٥، ٦.

فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}، وأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم تحذر من اتباع المتشابه، مثل ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} إلى قوله: {أُولُوا الأَلْبَابِ} قالت: قال: رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرْهُم [١]، وما روي أن رَسُولِ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ لِيُكَذِّبَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا تَشَابَهَ فَآمِنُوا بِهِ" [٢]، وما روي أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وَأَمْثَالٍ فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ واعملوا محكمه وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا" [٣]، وكذا تصدي السلف الصالح لمن يتبعون المتشابه كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ حين قدم المدينة وجعل يسأل عن متشابه القرآن[٤].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب منه آيات محكمات وأُخر متشابهات – حديث رقم (٤٢٧٣) ج٤ صـ١٦٥٥. والإمام مسلم في صحيحه – كتاب العلم – باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن – حديث رقم (٢٦٦٦) ج٤ صـ٢٠٥٣.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – حديث رقم (٦٧٠٢) ج٢ صـ١٨١، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٣) المستدرك على الصحيحين – كتاب فضائل القرآن – باب أخبار في فضائل القرآن جملة – حديث رقم (٢٠٣١) ج١ صـ ٧٩٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، قال الحافظ الذهبي في التلخيص : منقطع . وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه – كتاب الرقائق – باب قراءة القرآن– حديث رقم (٧٤٥) ج٣ صـ ٢٠، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. والإمام الطبراني في المعجم الكبير – حديث رقم (٨٢٩٦) ج٩ صـ ٢٦.

(٤) يُنظر الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ٦ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٢ صـ ٧٢ وما بعدها، والأصلان في علوم القرآن للدكتور/ محمد القيعي صـ٥٢، ٥٣، ومباحث في علوم القرآن للشيخ/ مناع القطان صـ ٢٢٢، ٢٢٣، وعلوم القرآن لنور الدين عتر صـ ١٢٢ وما بعدها.

تعقيب وترجيح:

بعد عرض الرأيين وبيان أدلة كل منهم أقول – والله تعالى أعلم – إنني إذا سلكت مسلك الترجيح يكون الرأي الثاني القائل بأن المتشابه لا يعلمه إلا الله هو الأرجح ويكون الرأي الأول مرجوحًا، لكن الترجيح لا يُلجأ إليه إلا إذا امتنع الجمع بين الرأيين بأن كان اختلافهما اختلاف تضاد لا تنوع، أما إذا أمكن الجمع بينهما فإنه يُصار إليه أولًا؛ لأن إعمال دليلين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر، وبناء عليه أقول وبالله التوفيق إن المتشابه ثلاثة أنواع وقد سبق بيانها [١]، فإن كانت الواو للاستئناف فالمراد النوع الأول من أنواع المتشابه، وهو ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وإن كانت للعطف فالمراد النوع الثاني والثالث من أنواع المتشابه، وهما ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس، وما يعلمه خواص العلماء.

---

(١) يُنظر أولًا تعريف المحكم والمتشابه من التمهيد (أنواع المتشابة) صــ ١٢.

المبحث الأول: مذهب السلف (المفوِّضة) في متشابه الصفات

أعني بالسلف الصالح القدامى من علماء السلف من أهل السنة والجماعة، ويُسمّى مذهبهم مذهب المفوِّضة، وقد ذهب هؤلاء إلى تفويض معاني هذه الصفات إلى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة، يقول الإمام السيوطي: "وَجُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمُ السَّلَفُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَتَفْوِيضِ مَعْنَاهَا الْمُرَادِ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا نُفَسِّرُهَا مَعَ تَنْزِيهِنَا لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا"(١).

وقد تعددت عباراتهم في ذلك، يقول الإمام السيوطي: "أَخْرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ في السنن عَنْ طَرِيقِ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قالت: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِقْرَارُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَمِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا يقال: كيف وكيف مَرْفُوعٌ (٢).

يتضح مما سبق:

أن السلف الصالح رضوان الله عليهم قد أقروا بأن ظواهر هذه الآيات معلومة واضحة بدليل قولهم: الاستواء غير مجهول، لكن هذه الظواهر مستحيلة في حق الله تعالى بدليل قولهم: والكيف غير معقول، أي لا تتصوره العقول والكيف المراد به الكيفية فكيفية الاستواء وحقيقته لا يحدها العقل، ومن هذين

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٤، ويُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٨٧، ودراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل صـ ١٩٤، والمدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد داود النبهان صـ ١٨٣، وعلوم القرآن لنور الدين عتر صـ ١٢٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٤، ١٥.

المنطلقين قرروا أن الإيمان بهذه الصفات مع الاعتقاد باستحالة معانيها وتفويض حقيقة معانيها لله عز وجل واجب، وأن السؤال عنها بدعة، وإنكارها كفر، وما أجمل عبارة الإمام مالك السابقة التي قال فيها: هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا يقال: كيف وكيف.

أدلة السلف الصالح على مذهبهم:

تنوعت أدلتهم بين أدلة عقلية وأدلة نقلية وأدلة عملية، وسأذكر بإذن الله تعالى أهمها فأقول:

أولًا: الأدلة العقلية

استدل السلف على مذهبهم بدليل عقلي وهو:

أن تعيين المراد من هذه المتشابهات إنما يجري على قوانين اللغة واستعمالات العرب وهي لا تفيد إلا الظن مع أن صفات الله من العقائد التي لا يكفي فيها الظن، بل لا بد فيها من اليقين ولا سبيل إليه فلنتوقف ولنكل التعيين إلى العليم الخبير [١].

ثانيًا: الأدلة النقلية:

استدل السلف على مذهبهم بأدلة نقلية كثيرة، منها [٢]:

(١) ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} إلى قوله: {أُولُوا الأَلْبَابِ} قالت: قال: رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرْهُم " [٣].

(٢) ما أخرجه ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا وما تشابه فآمنوا به" [٤].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٨٧، ويُنظر علوم القرآن لنور الدين عتر صـ ١٢٥، ١٢٦.

(٢) يُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٨٧ وما بعدها، وعلوم القرآن لنور الدين عتر صـ ١٢٥، ١٢٦، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل صـ١٩٩، وما بعدها.

(٣) الحديث سبق تخريجه، يُنظر صـ ١٨.

(٤) الحديث سبق تخريجه يُنظر صـ ١٨.

ثالثًا: الأدلة العملية:

وهي تمثل الموقف العملي للسلف الصالح رضوان الله عليهم تجاه من يتبع المتشابة ابتغاء إيقاع الفتنة بين المسلمين، وهي روايات كثيرة، منها [(١)]:

١ - ما رواه الإمام الدارمي عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال أين الرجل؟ فقال في الرحل قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة فأتاه به فقال عمر تسأل محدثة فأرسل إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عادله ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته" [(٢)].

يقول الشيخ الزرقاني تعليقًا على هذا الأثر: **"والدبرة بفتحات ثلاثة هي قرحة الدابة في أصل الوضع اللغوي والمراد هنا أنه صير في ظهره من الضرب جرحا داميا كأنه قرحة في دابة ورضي الله عن عمر فإن هذا الأثر يدل على أن ابن صبيغ فتح أو حاول أن يفتح باب فتنة بتتبعه متشابهات القرآن يكثر الكلام فيها ويسأل الناس عنها" [(٣)].**

٢ - ما ورد من أن الإمام مالكا رضي الله عنه سُأل عن الاستواء في قوله

(١) يُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صــ ٢٨٧ وما بعدها، وعلوم القرآن لنور الدين عتر صــ ١٢٥، ١٢٦، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل صــ١٩٩ وما بعدها.

(٢) سنن الدارمي - باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع - حديث رقم (١٤٨) ج١ صــ٦٧.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صــ٢٨٨.

سبحانه: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة وأظنك رجل سوء أخرجوه عني [1].

يقول الشيخ الزرقاني تعليقًا على هذا الأثر: "يريد رحمة الله عليه أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه الأوضاع اللغوية ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعا لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع والكيف مجهول أي تعيين مراد الشارع مجهول لنا لا دليل عندنا عليه ولا سلطان لنا به والسؤال عنه بدعة أي الاستفسار عن تعيين هذا المراد اعتقاد أنه مما شرعه الله بدعة لأنه طريقة في الدين مخترعة مخالفة لما أرشدنا إليه الشارع من وجوب تقديم المحكمات وعدم اتباع المتشابهات وما جزاء المبتدع إلا أن يطرد ويبعد عن الناس خوف أن يفتنهم لأنه رجل سوء وذلك سر قوله: وأظنك رجل سوء أخرجوه عني [2].

الخلاصة:

يتلخص مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم في النقاط الآتية:

١ – الإيمان بهذه الآيات المتشابهة.

٢ – تنزيه الله تعالى عن حقيقتها؛ إذ أن ظواهرها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى.

٣ – عدم الخوض في تفسيرها.

٤ – تفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى.

٥ – وصف من يخوض في تفسيرها أو يسأل عنها بالمبتدع وعمله بالبدعة.

٦ – مجازاة ولي الأمر لمن يتتبع المتشابه ابتغاء الفتنة بالضرب المبرح حتى يتوب ويرجع.

---

(١) رواه الإمام الدارمي في الرد على الجهمية رقم (١٠٤) صـ٦٦، والإمام البيهقي في الأسماء والصفات رقم (٨٦٧) ج٢ صـ٣٠٥.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ٢٨٨.

المبحث الثاني: مذهب الخلف (المؤوِّلة) في متشابه الصفات.

أعني بالخلف المتأخرين في الزمن من علماء أهل السنة والجماعة، ويُسمَّى مذهبهم مذهب المؤوِّلة، وقد ذهب هؤلاء إلى تأويل معاني هذه الصفات بما يتناسب مع جلال الله تعالى مع صرف ظواهرها المستحيلة عن معانيها الحقيقية المتبادرة للذهن، وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين، يقول الشيخ الزرقاني: "المذهب الثاني مذهب الخلف ويسمى مذهب المؤوِّلة بتشديد الواو وكسرها وهم فريقان فريق يؤولها بصفات سمعية غير معلومة على التعيين ثابتة له تعالى زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين وينسب هذا إلى أبي الحسن الأشعري وفريق يؤولها بصفات أو بمعان نعلمها على التعيين فيحمل اللفظ الذي استحال ظاهره من هذه المتشابهات على معنى يسوغ لغة ويليق بالله عقلا وشرعا وينسب هذا الرأي إلى ابن برهان وجماعة من المتأخرين" (١).

ويقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: "المذهب الثاني مذهب الخلف ويُسَمَّى مذهب المؤوِّلة –بتشديد الواو وكسرها، وهم فريقان: فريق يؤولها بصفات سمعية غير معلومة على التعيين، ثابتة له تعالى، زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين. وفريق يؤولها بمعانٍ نعلمها على التعيين، وذلك بأن يحمل اللفظ الذي استحال ظاهره من هذه المتشابهات على معنًى يسوغ لغة، ويليق بالله عقلًا وشرعًا" (٢).

يُستخلص مما سبق:

(١) أن علماء الخلف من أهل السنة والجماعة متفقون على استحالة المعاني الظاهرة لهذه الآيات.

(٢) أن علماء الخلف من أهل السنة والجماعة متفقون على تأويل هذه الآيات بمعان تتوافق مع جلال الله تعالى وعظيم سلطانه مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن ظواهرها.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ صـ ٢٨٩.

(٢) دراسات في علوم القرآن صـ ١٩٧.

(٣) أن الفريق الأول من علماء الخلف من أهل السنة والجماعة قد ذهبوا إلى تأويل هذه الصفات بصفات سمعية غير معلومة على التعيين ثابتة له تعالى زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين، وهم بذلك قريبون من مذهب السلف (المفوِّضة) فهم متفقون على التنزيه إلا أن الفرق بينهما أن أصحاب هذا الرأي ينزهون ويثبتون صفاتًا لله عزوجل غير معلومة أما السلف فينزهون ويفوضون ولا يثبتون شيئًا، بل يكلون ذلك كله لله عزوجل.

(٤) أن الفريق الثاني من علماء الخلف من أهل السنة والجماعة قد ذهبوا إلى تأويل هذه الصفات بمعان نعلمها على التعيين فيحمل اللفظ الذي استحال ظاهره من هذه المتشابهات على معنى يسوغ لغة ويليق بالله عقلا وشرعا، وهم متفقون مع السلف على التنزيه إلا أن الفرق بينهما أن أصحاب هذا الرأي ينزهون ويؤولون بمعان معلومة أما السلف فينزهون ويفوضون ولا يثبتون شيئًا، بل يكلون ذلك كله لله عزوجل.

(٥) أن الرأي الأول يُنسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أما الرأي الثاني فيُنسب إلى الإمام ابن برهان وجماعة من المتأخرين.

أدلة علماء الخلف من أهل السنة والجماعة على مذهبهم:

استدل علماء الخلف من أهل السنة والجماعة على مذهبهم بأدلة عديدة، يقول الإمام الزركشي: "وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ وُجُوبُ حَمْلِ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ الْمَفْهُومِ مِنْ حَقِيقَتِهِ لِقِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْمُشَابِهة وَالْجِسْمِيَّةِ فِي حَقِّ الْبَارِئِ تَعَالَى وَالْخَوْضُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ خَطَرُهُ عَظِيمٌ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ تَغَايُرٌ فِي الْأُصُولِ بَلِ التَّغَايُرُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ وَاسْتِعْمَالُ الْمَجَازِ لُغَةُ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا قُلْنَا: لَا تَغَايُرَ بَيْنِهِمَا فِي الْأُصُولِ لِمَا عُلِمَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُكَذِّبُ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ إِذْ لَا يَرِدُ الشَّرْعُ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ الْعَقْلُ إِذْ هُوَ دَلِيلُ الشَّرْعِ وَكَوْنُهُ حَقًّا وَلَوْ تُصُوِّرَ كَذِبُ الْعَقْلِ فِي شَيْءٍ لَتُصُوِّرَ كَذِبُهُ فِي صِدْقِ الشَّرْعِ فَمَنْ طَالَتْ مُمَارَسَتُهُ الْعُلُومَ وَكَثُرَ خَوْضُهُ فِي بُحُورِهَا أَمْكَنَهُ التَّلْفِيقُ بَيْنَهُمَا لَكِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ

إمَّا تَأْوِيلٌ يَبْعُدُ عَنِ الْأَفْهَامِ أَوْ مَوْضِعٌ لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ وَجْهُ التَّأْوِيلِ لِقُصُورِ الْأَفْهَامِ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ وَالطَّمَعُ فِي تَلْفِيقِ كُلِّ مَا يَرِدُ مُسْتَحِيلُ الْمَرَامِ وَالْمَرَدُّ إِلَى قَوْلِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصير} وَنَحْنُ نَجْرِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى طَرِيقِ الْمُؤَوِّلِينَ حَاكِينَ كَلَامَهُمْ" (١).

ويقول الشيخ الزرقاني: " **أما حجة أصحاب هذا المذهب فيما ذهبوا إليه فهو أن المطلوب صرف اللفظ عن مقام الإهمال الذي يوجب الحيرة بسبب ترك اللفظ لا مفهوم له وما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم فالنظر قاض بوجوبه انتفاعا بما ورد عن الحكيم العليم وتنزيها له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم" (٢).**

ويقول الدكتور/ نور الدين عتر: **"ودليلهم أنه لما استحال أن يكون المعنى الظاهري مرادا، كان دليلا على أن المراد هو معنى مجازي، فنفسره وفق ما يفسر به كلام العرب، لأن القرآن عربي كما صرح القرآن بذلك في مواضع كثيرة فيجب الاعتماد على منهج فهم كلام العرب" (٣).**

يتضح مما سبق أن أدلة علماء الخلف من أهل السنة والجماعة تتلخص فيما يلي:

(١) وجوب حمل الكلام على خلاف ما يُفهم من حقيقته.

(٢) استحالة المشابهة والجسمية في حق الله عزوجل، وفقا لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

(٣) الخوض في مثل هذه الأمور خطره عظيم.

(٤) لا تعارض بين المنقول والمعقول.

(٥) استعمال المجاز لغة العرب والقرآن عربي، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ صـ ٧٩، ٨٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ صـ ٢٩٠.

(٣) علوم القرآن الكريم صـ ١٢٦.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥).

(٦) لما استحال الظاهر تعين المجاز فيُفسر اللفظ وفقا لما يُفسر به كلام العرب.

(٧) في التأويل صرف للفظ عن مقام الإهمال، وإذا أمكن حمل اللفظ على معنى سليم يُصار إليه وإعمال اللفظ أولى من إهماله.

تنبيه:

نسبة هذا المذهب إلى علماء الخلف لا يعني أنه لا يوجد من قال بذلك من علماء السلف، فقد رُوي هذا القول عن بعض الصحابة وبعض علماء السلف، يقول الإمام الزركشي: " **وَمِمَّنْ نُقِلَ عَنْهُ التَّأْوِيلُ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ: إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ أَوَّلَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ. قُلْتُ: وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى تَأْوِيلَ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {أو يأتي ربك} قَالَ: وَهَلْ هُوَ إِلَّا أَمْرُهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ}!"**[١].

الفرق بين مذهب السلف والخلف:

سبب الخلاف بين السلف والخلف هو اختلافهم في إمكانية وجود شيء في القرآن لا يُعلم معناه، فالسلف يرون جواز ذلك والخلف يرون عدم جوازه، يقول الإمام الزركشي: "إن منشأ الخلاف بين السلف والخلف يرجع إلى هَلْ يَجُوزُ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهُ؟ فَعِنْدَ السلف يَجُوزُ فَلِهَذَا مَنَعُوا التَّأْوِيلَ وَاعْتَقَدُوا التَّنْزِيهَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَعِنْدَ الخلف لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، بَلِ الرَّاسِخُونَ يَعْلَمُونَهُ" [٢].

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ صـ ٧٩.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء صـ ٧٩، ٨٠، ويُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ١٥، ١٦.

وبالنظر في حقيقة الأمر أجد بين المذهبين اتفاقا في جوهر المسألة وأساسها، وهو:

١ - الاعتماد فيها على الآيات المحكمات، التي سماها الله تعالى أُمُّ الْكِتَابِ أي الأصل والمرجع وهي قاطعة في تنزيه الله عن مشابهة الخلق.

٢ - صرف هذه النصوص عن ظواهر ألفاظها اللغوية المستحيلة، واعتقـــاد أن هذه الظواهر الموهمة للتشبيه غير مرادة قطعا، فالفريقان إذًا متفقان فـــي جوهر القضية، غاية الأمر أن السلف اكتفوا بالإجمال، وهو اعتقاد التنزيه عن هذه الظواهر، لكن دون تعيين التأويل المراد، بل تفويض ذلك للعلـــي الجبار، أما الخلف فقد خطوا خطوة ثانية وهي تفسير تلك النصوص حسبما يتبادر منها وفق استعمالات كلام العرب [١].

(١) يُنظر علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر صـــ ١٢٦.

المبحث الثالث: مذهب المتوسطين بين السلف والخلف في متشابه الصفات

أعني بالمتوسطين بعض العلماء من الخلف من أهل السنة والجماعة الذين اختاروا مذهبًا وسطًا بين السلف (المفوِّضين) وبين الخلف (المؤوِّلين)، يقول الإمام السيوطي: " وَتَوَسَّطَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ قَرِيبًا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ لَمْ يُنْكَرْ أَوْ بَعِيدًا تَوَقَّفْنَا عَنْهُ وَآمَنَّا بِمَعْنَاهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ مَعَ التَّنْزِيهِ قَالَ: وَمَا كَانَ مَعْنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ ظَاهِرًا مَفْهُومًا مِنْ تَخَاطُبِ الْعَرَبِ قُلْنَا بِهِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيفٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} فَنَحْمِلُهُ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ" (١).

يُستخلص مما سبق:

(١) أن هذا الرأي يُنسب للإمام ابن دقيق العيد.

(٢) أنه اختار مذهبًا وسطًا بين التفويض والتأويل فقال بالتفويض في بعض الآيات التي يكون فيها التأويل بعيدًا، وبالتأويل في بعض الآيات التي يكون التأويل فيها قريبًا مثل قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ (الزمر: ٥٦). فيُحمل على حق الله وما يجب له.

(٣) أن رأيهم يُشبه مذهب السلف في الآيات التي يكون التأويل فيها بعيدًا ويُشبه مذهب الخلف في الآيات التي يكون التأويل فيها قريبًا.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صــ ١٦، ويُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صــ ٢٩٠، ودراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل صــ ١٩٧، ١٩٨.

المبحث الرابع: الرأي الراجح من آراء أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات

عند النظر في آراء أهل السنة والجماعة السابقة في متشابه الصفات أجد والله تعالى أعلم أنها راجحة كلها فمذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم ومذهب المتوسطين لا يخرج عنهما، فقد توسط بين كلا الرأيين ففي بعض الآيات يفوِّض وفي البعض الآخر يؤوِّل، وقد رجح مذهب السلف بعض العلماء قديمًا وحديثًا، يقول الإمام السيوطي: " **وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَضَى صَدْرُ الْأُمَّةِ وَسَادَاتُهَا وَإِيَّاهَا اخْتَارَ أَئِمَّةُ الْفُقَهَاءِ وَقَادَاتُهَا وَإِلَيْهَا دَعَا أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَأَعْلَامُهُ وَلَا أَحَدَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ من أصحابنا يصد ف عَنْهَا وَيَأْبَاهَا" (١).**

ويقول الدكتور/ محمد القيعي: " **ومن أجل هذا، فالأسلم نؤمن بها كما آمن السلف، أحالوا إرادة الجارحة، وفوضوا العلم بالمراد منها إلى الله سبحانه، فهو كما وصف نفسه، ولا يقال كيف؛ فالكيف عنه مرفوع" (٢).**

ويقول محمد داود النبهان: "**وموقف أهل السلف أوضح وآمن وأسلم، فإن من الصعب على العقل البشري أن يخوض في تأويل ما ليس به علم، وأنى له علم ذلك والعقل البشري لا يدرك إلا المعاني القريبة منه، مما تدركه الحواس، والتأويل قد يبتدئ يسيرا منضبطا، ثم تتوسع مجالاته، وتنحرف مسالكه، وتضطرب أقواله، ثم يكون مطية لانحراف خطير" (٣).**

كما رجح مذهب الخلف بعض العلماء أيضًا قديمًا وحديثًا، يقول الإمام الزركشي: "**وَمِمَّنْ نُقِلَ عَنْهُ التَّأْوِيلُ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ: إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ أَوَّلَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ. قُلْتُ: وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى تَأْوِيلَ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {أو يأتي ربك} قَالَ: وَهَلْ هُوَ إِلَّا**

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ١٥.

(٢) الأصلان في علوم القرآن صـ ١٢٦.

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم صـ ١٨٤.

أَمْرُهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ}! وَاخْتَارَ ابْنُ بَرْهَانَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ التَّأْوِيلَ" (١).

ثم قال:"وَنَحْنُ نَجْرِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى طَرِيقِ الْمُؤَوِّلِينَ حَاكِينَ كَلَامَهُمْ" (٢).

فالرأيان كلاهما راجح لأن لكل أدلته، وقد قال بكليهما جماعات من السلف والخلف، وكذا رأي المتوسطين؛ لأنه لا يخرج عنهما، فمن أراد أن يتبع رأي السلف فليتبع ومن أراد أن يتبع رأي الخلف فليتبع ومن أراد أن يتبع رأي المتوسطين فله ذلك، والواجب ألا يُنكر أحد على الآخر ما دام كل راجحا كما ذكرت، يقول العلامة اللقانيّ في نظمه الشهير [جوهرة التوحيد]:

"وكل نصٍّ أوهم التشبيها *** أوّله أو فوّض ورُمْ تنزيهاً" (٣).

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ صـ ٧٩.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء صـ ٨٠.

(٣) متن جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة بيت رقم (٤٠) صـ٤.

الفصل الثاني: مذاهب بعض الفرق الأخرى في متشابه الصفات.

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: مذهب المشبهة والمجسمة في متشابه الصفات.

المبحث الثاني: مذهب الإمام ابن تيمية في متشابه الصفات.

المبحث الأول: مذهب المشبهة والمجسمة في متشابه الصفات.

هذه الفرقة اعتقدت أن الله تعالى جسم كسائر الأجسام ولم يكتفوا بذلك، بل شبهوه بغيره من الأجسام تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، يقول الإمام بدر الدين ابن جماعة: **"وهم الّذين نسبوا الله تَعَالَى إِلَى الجسمية وأسندوا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ كثيرا مِمَّا يسند إِلَى الْجِسْم معَاذ الله"** (١).

وقد نقل الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الشامل مقالات الإسلاميين عن بعضهم كلاما في حق الله تعالى ربما دلّ على التنقيص والاستهزاء بالله تعالى فضلا عن التجسيم ولا صلة له بالعلمِ ولا بالدليل يقول رحمه الله تعالى: **"وَاخْتلفت الروافض أَصْحَاب الْإِمَامَة فِي التجسيم وهم ستّ فرق فالفرقة الأولى الهشامية أَصْحَاب هِشَام بن الحكم الرافضي يَزْعمُونَ أَن معبودهم جسم وَله نِهَايَة وحد طَوِيل عريض عميق طوله مثل عرضه وَعرضه مثل عمقه لَا يُوفى بعضه على بعض وَذكر أَبُو الْهُذيْل فِي بعض كتبه أَن هِشَام بن الحكم قَالَ لَهُ: إِن ربه جسم ذَاهِب جَاء فيتحرك تَارَة ويسكن أُخْرَى وَيقْعد مرّة وَيقوم أُخْرَى وَإِنّهُ طَوِيل عريض عميق لِأَن مالم يكن كَذَلِك دخل فِي حد التلاشي قَالَ: فَقلت: لَهُ إيما أعظم إلهك أم هَذَا الْجَبَل؟ وأومأت إِلَى أبي قبيس جبل بِمَكّة المكرمة قَالَ: فَقَالَ: إِن هَذَا الْجَبَل يُوفي عَلَيْهِ أَي هُوَ أعظم مِنْهُ وَذكر أيضا ابْن الراوندي أَن هِشَام بن الحكم كَانَ يَقُول: إِن بَين إلهه وَبَين الْأَجْسَام الْمُشَاهدَة تشابهًا من جِهَة من الْجِهَات وَلَوْلَا ذَلِك مَا دلّت عَلَيْهِ وَزعم الْوراق أَن بعض أَصْحَاب هِشَام أَجَابَهُ مرّة أَن الله عز وَجل على الْعَرْش مماس لَهُ وَأَنه لَا يفضل عَن الْعَرْش وَلَا يفضل الْعَرْش عَنهُ** (٢).

وقال الإمام الشهرستاني: **"وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء، والوجه، واليدين، والجنب، والمجيء، والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها،**

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل صـ٢٧.

(٢) ج١ صـ ٤١، وما بعدها.

أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه السلام: "خلق آدم على صورة الرحمن" (١) وقوله: "حتى يضع الجبار قدمه في النار" (٢) وقوله: "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن" (٣) وقوله: "خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا" (٤) وقوله: "وضع يده أو كفه على كتفي" وقوله: "حتى وجدت برد أنامله على كتفي" (٥) إلى غير ذلك؛

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا ضَرَبَ أحدكم فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فإن اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ، مسند الإمام أحمد بن حنبل – مسند أبي هريرة رضي الله عنه – حديث رقم (٧٣١٩) ج٢ صـ٢٤٤، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يُلْقَى في النَّارِ وَتَقُولُ هل من مَزِيدٍ حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ، صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب قوله تعالى (وتقول هل من مزيد) – حديث رقم (٤٥٦٧) ج٤ صـ١٨٣٥.

والإمام مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء – حديث رقم (٢٨٤٨) ج٤ صـ٢١٨٨.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم عن عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول إِنَّ قُلُوبَ بنى آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ، صحيح مسلم – كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء – حديث رقم (٢٦٥٤) ج٤ صـ٢٠٤٥.

(٤) الحديث أورده الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد حكم عليه الحافظ العراقي فقال: إسناده ضعيف جداً وهو باطل، يُنظر تخريج الإحياء ج٤ صـ٣٤٢.

(٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قال احْتُبِسَ عَنَّا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ غَدَاةٍ عن صَلَاةِ الصُّبْحِ حتى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَجَوَّزَ في صَلَاتِهِ فلما سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ قال لنا: على مَصَافِّكُمْ كما أَنْتُمْ ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا ثُمَّ قال: أَمَا إني سَأُحَدِّثُكُمْ ما حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ، إني قُمْتُ من اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ ما قُدِّرَ لي فَنَعَسْتُ في صَلَاتِي حتى استثقلت فإذا أنا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أَحْسَنِ صُورَةٍ فقال: يا محمد قلت: لَبَّيْكَ رَبِّ قال فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأعلى؟ قلت لَا أَدْرِي قَالَهَا ثَلَاثًا قال فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بين كَتِفَيَّ حتى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بين ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ ..... الحديث، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم– باب ومن سورة ص – حديث رقم(٣٢٣٥) ج٥ صـ٣٦٨، ٣٦٩.

أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام. وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه السلام، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الحديد، وأنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع" (١).

يُستخلص مما سبق:

أن هذه الفرقة نسبت إلى الله تعالى الجسمية وأسندوا إليه سبحانه وتعالى كثيرًا مما يُسند إلى الجسم، فقد زعموا:

(١) أن الله تعالى له نهاية وحد، وطول، وعرض، وعمق.

(٢) أنه تعالى يذهب ويجيء ويتحرك تارة ويسكن أخرى ويقعد ويقوم، كما تفعل الأجسام.

(٣) أن جبل أبي قبيس بمكة أعظم منه تعالى.

(٤) أنه تعالى مماس للعرش وحجمه كحجم العرش لا يزيد أحدهما على الآخر.

وبالجملة فقد أجروا ما جاء من متشابه الصفات على ظاهره مما يُطلق على الأجسام سواء أكان في القرآن الكريم أم في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل زادوا على ذلك فوصفوا الله تعالى بأكاذيب موضوعة نسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها مقتبسة من اليهود، فأثبتوا ما فيها زورًا وبهتانًا لله رب العالمين، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

الحكم على هذا المذهب:

بعد عرض مذهب المجسمة والمشبهة في متشابه الصفات يتضح جليًا أن هذه الفرقة قد ضلت ضلالًا بعيدًا، فنسبت لله تعالى نقائص كثيرة بغير دليل ولا

---

(١) الملل والنحل ج١ صـ ١٠٥، ١٠٦.

برهان، بل بمحض عقولهم المريضة وفكرهم المعوج تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ولو تفكروا لحظةً واحدةً في قوله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) لما وصفوا الله تعالى بشيء مما قالوا ولنزهوه سبحانه وتعالى عن ذلك، يقول الإمام الأكبر الشيخ سيد طنطاوي: " ثم نزه- سبحانه- ذاته عن الشبيه أو النظير فقال (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أى: ليس مثله شيء- تعالى-: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فالكاف مزيدة في خبر لَيْسَ وشَيْءٌ اسمها. أى: ليس شيء مثله. أو أن الكاف أصلية. فيكون المعنى: ليس مثله- تعالى- أحد لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال. وذلك كقول العرب: مثلك لا يبخل، يعنون: أنت لا تبخل على سبيل الكناية، قصدا إلى المبالغة في نفى البخل عن المخاطب بنفيه عن مثله، فيثبت انتفاؤه عنه بدليله. والمقصود من الجملة الكريمة على كل تفسير: تنزيهه- تعالى- عن مشابهة خلقه في الذات أو الصفات أو الأفعال" (١).

(١) التفسير الوسيط ج١٣ صـ١٩.

المبحث الثاني: مذهب الإمام ابن تيمية في متشابه الصفات

يتلخص مذهب الإمام ابن تيمية في إثبات هذه الصفات لله تعالى مع عدم المماثلة والمشابهة فيرى أن لله تعالى يدا ووجها وساقا وعينا لكنها ليست كأيدينا ووجوهنا وسيقاننا وأعيننا وهكذا في سائر متشابه الصفات، يقول الإمام ابن تيمية: "الْقَوْلُ فِي الِاسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتِ سَمَّا نَفْسَهُ : حَيًّا عَلِيمًا حَكِيمًا قَدِيرًا سَمِيعًا بَصِيرًا غَفُورًا رَحِيمًا إلَى سَائِرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } وَقَالَ : { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } وَقَالَ : { إنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } وَقَالَ : { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } أَيْ بِقُوَّةٍ وَقَالَ : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } . وَقَالَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ : { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا } وَقَالَ : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } وَقَالَ : { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } وَقَالَ : { وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ } وَقَالَ : { سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وَقَالَ تَعَالَى : { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } وَقَالَ : { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } وَقَالَ : { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } وَقَالَ : { إنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } وَقَالَ : { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } وَقَالَ : { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } وَقَالَ تَعَالَى : { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } وَقَالَ تَعَالَى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ } وَقَالَ تَعَالَى : { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ ؛ فَالْقَوْلُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي بَعْضٍ. وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ ؛ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ. فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ ؛ وَلَا يَجُوزُ تَمْثِيلُهَا بِصِفَاتِ

الْمَخْلُوقِينَ ؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ" (١).

ويقول: " فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ فَيَتَوَصَّلُ بِذَلِكَ إلَى أَنْ يَفْهَمَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ أَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَصَوَّرْ لِهَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ نَفْسِهِ وَنَظَرِهِ إلَيْهِ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَفْهَمَ مَا غَابَ عَنْهُ كَمَا أَنَّهُ لَوْلَا تَصَوُّرُهُ لِمَا فِي الدُّنْيَا: مِنْ الْعَسَلِ وَاللَّبَنِ وَالْمَاءِ وَالْخَمْرِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَمَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَتَصَوَّرَ مَا أُخْبِرَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ الْغَيْبِ: لَكِنْ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْغَيْبُ مِثْلَ الشَّهَادَةِ فَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إلَّا الْأَسْمَاءُ ". فَإِنَّ هَذِهِ الْحَقَائِقَ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا أَنَّهَا فِي الْجَنَّةِ لَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لِهَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ فِي الدُّنْيَا بِحَيْثُ يَجُوزُ عَلَى هَذِهِ مَا يَجُوزُ عَلَى تِلْكَ وَيَجِبُ لَهَا مَا يَجِبُ لَهَا وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهَا مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا وَتَكُونُ مَادَّتُهَا مَادَّتَهَا وَتَسْتَحِيلُ اسْتِحَالَتَهَا فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ مَاءَ الْجَنَّةِ لَا يَفْسُدُ وَيَأْسَنُ وَلَبَنَهَا لَا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَخَمْرَهَا لَا يُصَدِّعُ شَارِبُهَا وَلَا يُنْزِفُ عَقْلُهُ فَإِنَّ مَاءَهَا لَيْسَ نَابِعًا مِنْ تُرَابٍ وَلَا نَازِلًا مِنْ سَحَابٍ مِثْلَ مَا فِي الدُّنْيَا وَلَبَنَهَا لَيْسَ مَخْلُوقًا مِنْ أَنْعَامٍ كَمَا فِي الدُّنْيَا؛ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ يُوَافِقُ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ فِي الِاسْمِ؛ وَبَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَتَشَابُهٌ؛ عُلِمَ بِهِ مَعْنَى مَا خُوطِبْنَا بِهِ مَعَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ لَيْسَتْ مِثْلَ الْحَقِيقَةِ فَالْخَالِقُ جَلَّ جَلَالُهُ أَبْعَدُ عَنْ مُمَاثَلَةِ مَخْلُوقَاتِهِ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ لِمَا فِي الدُّنْيَا. فَإِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَدِيرٌ؛ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ مُمَاثِلًا لِخَلْقِهِ إذْ كَانَ بُعْدُهَا عَنْ مُمَاثَلَةِ خَلْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ بُعْدِ مُمَاثَلَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صِغَارِ الْحَيَوَانِ لَهَا حَيَاةٌ وَقُوَّةٌ وَعَمَلٌ وَلَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لِلْمَلَائِكَةِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَكَيْفَ يُمَاثِلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَيْئًا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ " (٢).

(١) مجموع الفتاوى ج٥ صـ١٩٤ ،١٩٥.

(٢) المرجع السابق ج٩ صـ٢٩٥، ١٩٦.

يُستخلص مما سبق أن الإمام ابن تيمية:

١ – يسوِّي بين الآيات التي تتحدث عن متشابه الصفات (كالاستواء واليد) وبين الآيات التي تتحدث عن صفات الله تعالى الأخرى الذي وصف بها نفسه والتي لم يختلف فيها العلماء ولا يوهم ظاهرها التشبيه (كالعلم والقدرة) وكذا بعض الآيات التي يبدوا من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين في بعض الأفعال ويرى أن القول في كل منها واحد، فيُثبت ظواهرها مع عدم التشبيه والتمثيل.

٢ – يرى أن تصور هذه الصفات بالنسبة للبشر هو السبيل إلى فهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه مثل تصور ما في الدنيا من العسل واللبن والماء والخمر والحرير والذهب والفضة فإنه يوصل إلى تصور ما في الآخرة من ذلك مع عدم التشابه بين ما في الدنيا والآخرة.

٣ – يرى إثبات ظواهر هذه الصفات لله تعالى مع نفي مماثلة ومشابهة الله تعالى لأي أحد.

٤ – يرى أن هذا هو مذهب السلف رضوان الله تعالى عليهم وأنه هو المنقول عنهم دون غيره من المذاهب.

الحكم على هذا المذهب:

عند النظر والتمحيص يتبين لي بطلان هذا المذهب من وجوه:

١ – تسويته بين الآيات الواردة في متشابه الصفات والآيات الواردة في صفات الله تعالى المتفق عليها بين العلماء والتي لم يُؤثر عنهم فيها خلاف كالعلم والقدرة والسمع والبصر، وهذا ظاهر البطلان فالبون بينهما شاسع، إذ أن الأولى تقتضي تشبيها لله تعالى للمخلوقين كما تقتضي التجسيم في حق المولى عز وجل تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا بينما الثانية لا تقتضي شيئًا من ذلك.

٢ – تسويته بين الآيات الواردة في متشابه الصفات والآيات التي يبدوا من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين في بعض الأفعال، وقد بينت الفرق بينهما في التمهيد من هذا البحث [(١)].

٣ – قياسه بين ما في الدنيا والآخرة من الأشياء المتشابهة في الاسم المختلفة في المعنى ومتشابه الصفات حيث يرى أن معانيه الظاهرة سبيل للتوصل إلى فهم خطاب الله تعالى لنا بمتشابه الصفات قياس مع الفارق إذ ان الأولى ليست في حق الله تعالى ولا يترتب عليها أي مخالفة اعتقادية بخلاف الثانية فهي في حق الله تعالى الذي لا يحده علم مهما بلغ كما أن في إثبات ظواهرها تشبيه لله تعالى بخلقة ووصفه بصفات الأجسام وهذا يتنافى مع كمال الله تعالى وجلاله.

٤ – إثباته ظواهر هذه الصفات لله تعالى مع نفي مماثلة ومشابهة الله تعالى لأي أحد فيه تناقض لا يخفى على أحد، يقول الدكتور/ نور الدين عتر: **"وقد تاه أقوام في فهم مذهب السلف، وأتوا في تعريفهم به بعبارة موهمة فقالوا: إن المراد من هذه الآيات المتشابهة في الصفات هو معناها الحقيقي على**

---

(١) يُنظر التمهيد ثالثًا: الفرق بين الآيات التي تتحدث عن متشابه الصفات والآيات التي يبدو من ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقين من هذا البحث صــ١٦، ١٧.

وجه يليق به تعالى. وهذا تعبير منتقد من حيث اللفظ والمعنى أما انتقاده من حيث اللفظ فلأن السلف لم يأتوا بكلمة «حقيقة»، وهذا باب دقيق يجب التقيد فيه بالعبارات المنقولة تماما، فكيف نقحم على كلامهم ما لم يقولوا؟! وأما انتقاده من حيث المعنى: فلأن قولهم «المراد معناها حقيقة» يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه، وقولهم «على وجه يليق به» ينافي ذلك، فصارت العبارة متناقضة موهمة، حتى وجدنا كثيرا ممن نظر في كلام أصحاب هذا الرأي أو اعتقده يتجه فهمه إلى التشبيه من حيث لا يشعر" [١].

٥ – ادعاؤه بأن هذا هو مذهب السلف رضوان الله تعالى عليهم دون غيره وأنه هو المنقول عنهم ادعاء باطل، وقد بينت في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث مذهب السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم في متشابه الصفات بالتفصيل مع ذكر أقوالهم وهو يتلخص في التفويض دون إثبات ولا تفسير [٢].

٦ – أن هذا المذهب وإن نفى التشبيه والجسمية عن الحق سبحانه وتعالى إلا أن إثباته لهذه الصفات يعتبر بابًا للولوج في لجة التشبيه والتمثيل.

ومن هنا يتبين بطلان هذا المذهب وأن الإمام ابن تيمية – غفر الله تعالى له – قد جانبه الصواب في فهم مذهب السلف رضوان الله تعالى عليهم، وإن كان برأيه هذا أخف وطأة من مذهب المشبهة والمجسمة السابق ذكره، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر صـ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) يُنظر صـ٢٠ وما بعدها.

الفصل الثالث: نماذج من بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن متشابه الصفات

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥).

المبحث الثاني: قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ (الفتح: ١٠).

المبحث الثالث: قوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٦ – ٢٧).

المبحث الأول: قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥).

وردت آيات أخرى تتحدث عن استواء الله تعالى على العرش، وهي: قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٣).

وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ (الرعد: ٢).

وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ (الفرقان: ٥٩).

وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤).

وقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (الحديد: ٤).

كل هذه الآيات تتحدث عن خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش ولأن الاستواء على العرش المعروف من لغة العرب هو الجلوس والاستقرار على العرش، ولما كان ذلك مستحيلا في حق المولى عز وجل، فقد اختلف العلماء في تفسير معنى الاستواء في هذه الآية وأشباهها، وقد بينت مذاهب العلماء في متشابه الصفات عمومًا، وسأبين هنا بمشيئة الله تعالى آراءهم في هذه الآية وأشباهها بادئًا برأي أهل السنة والجماعة من السلف والخلف ثم رأي المشبهة والمجسمة والإمام ابن تيمية.

أولًا: رأي السلف (المفوّضة) في معنى هذه الآية:

ذهب هؤلاء إلى تفويض معني هذه الآية إلى الله تعالى وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظاهرها المستحيل، يقول الإمام السيوطي: "وَجُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمُ السَّلَفُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَتَفْوِيضِ مَعْنَاهَا الْمُرَادِ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا نُفَسِّرُهَا مَعَ تَنْزِيهِنَا لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا"(١).

وقد تعددت عباراتهم في ذلك، يقول الإمام السيوطي: "أَخْرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ في السنن عَنْ طَرِيق قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قالت: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِقْرَارُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَمِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٤، ويُنظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ صـ ٢٨٧، ودراسات في علوم القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل صـ ١٩٤، والمدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد داود النبهان صـ ١٨٣، وعلوم القرآن لنور الدين عتر صـ ١٢٥.

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلَا يقال: كيف وكيف مَرْفُوعٌ (١).

يُستخلص مما سبق:

١ – أن عبارات السلف رضوان الله عليهم متفقة على أن الاستواء معلوم غير مجهول، وهذا يحتمل أمرين: إما أن يكون قصدهم أنه معلوم معناه في لغة العرب أو أنه معلوم معناه في حق المولى عز وجل والأول الراجح قطعًا لأنه لو كان معلومًا معناه في حق المولى عز وجل لما كان من المتشابه.

٢ – أن عبارات السلف رضوان الله تعالى عليهم متفقة على أن كيفية الاستواء غير معلومة، وهذا يؤيد أن المعلوم غير المجهول هو معنى الاستواء في لغة العرب لا في حق المولى عز وجل؛ لأنه كيف يكون معناه معلومًا وكيفيته مجهولة، فالعلم بالمعنى يستلزم العلم بالكيفية.

٣ – أن عبارات السلف رضوان الله عليهم متفقة على ضرورة الإيمان والتصديق بما أخبر الله تعالى عنه في هذه الآيات مع تفويض معرفة حقيقتها لله عز وجل.

وقد أشار إلى مذهب السلف رضوان الله تعالى عليهم في هذه الآيات بعض المفسرين، جاء في التفسير الوسيط: "واستواؤه تعالى على العرش من قبيل المتشابهات التي يجب الإيمان بها وتفويض علم المراد منها إلى الله جل وعلا، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث وهذا مذهب جمهور أهل السنة" (٢).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٤، ١٥.

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج ٦ صـ ١٠٠٦، ١٠٠٧.

ويقول الإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي: "**ثم مدح- سبحانه- ذاته بقوله: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى أى: الرحمن- عز وجل- استوى على عرش ملكه استواء يليق بذاته بلا كيف أو تشبيه، أو تمثيل. قال الإمام مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وقد ذكر لفظ العرش في إحدى وعشرين آية من آيات القرآن الكريم**" (١).

رأي الخلف (المؤولة) في معنى هذه الآية:

ذهب هؤلاء إلى تأويل معنى هذه الآية بما يتناسب مع جلال الله تعالى مع صرف ظاهرها المستحيل من معناها الحقيقي المتبادرة للذهن، وقد أولوها بمعان متعددة، منها:

١ – **أن المراد أنه أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك**، يقول الإمام الواحدي: "**{عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] أي: أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك. أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي، أنا أبو منصور الأزهري، أنا أبو الفضل المنذري، قال: سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن قول الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] فقال: الاستواء الإقبال على الشيء. ونحو هذا قال الفراء، والزجاج في قوله عز وجل: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: ٢٩] ولا يصح الاستواء فِي صفة الله تعالى إلا من هذا الوجه، وما سواه فهو باطل فاسد**" (٢).

قلت: هذا المعنى يستقيم إذا كان التعبير بلفظ (إلى) مثل الآية التي ذكرها، وهي قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ

(١) التفسير الوسيط للإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي ج٩ صـ٨٧.

(٢) التفسير الوسيط للإمام أبي الحسن الواحدي ج٣ صـ٢٠٠.

عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩). أما هنا فقد عبر بلفظ على إلا إذا قلنا إن على هنا بمعنى إلى ويؤيده أن سياق الآيات يتحدث عن خلق السماوات والأرض.

٢ – أن المراد أنه سبحانه وتعالى استولى عليه وملكه، وقد ذهب إلى هذا المعنى أكثر أهل السنة والجماعة من الخلف، يقول الإمام النسفي: "{استوى} استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير ألبتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أي جواد وإن لم يكن له يد رأساً" (١)

قلت: هذا المعنى قريب في لغة العرب من معنى الاستواء فهم يقولون استوى فلان على العرش بمعنى استولى وملك وإن لم يقعد على العرش، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ودم مهراق (٢)

فقعود بشر على العراق مستحيل فيتعين المعنى المجازي، وهو الاستيلاء والملك، وكذا في هذه الآيات يستحيل ظاهرها وهو الجلوس على العرش، فيتعين المعنى المجازي، وهو الاستيلاء بمعنى الاقتدار والملك، وقد عبر الحق سبحانه وتعالى بملكه للعرش مع أنه يملك جميع المخلوقات لأنه أعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى جاء في التفسير الوسيط: "وإنما أُضيف لله تعالى الاستواءُ على العرش وحده مع أنه سبحانه مستوٍ على الكون كله؛ لأن العرش أعظم مخلوقاته، فإذا

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات حافظ الدين النسفي ج٢ صـ٣٥٧، ويُنظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ج٢٢ صـ ١٠، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج ٦ صـ ١٠٠٦، ١٠٠٧.

(٢) البيت للأخطل من بحر الرجز، يُنظر تاج العروس من جواهر القاموس ج٣٨ صـ٣٣١، والمعجم المفصل في شواهد العربية للدكتور/ إميل بديع يعقوب ج١١ صـ ٢٠٨.

استوى عليه وهو أَعظمها فقد استوى على كل ما سواه" [1]،

ويؤيد هذا المعنى أن سياق الآيات يتحدث عن عظمة الله عز وجل وخلقه السماوات والأرض وشمول علمه سبحانه وتعالى، يقول الإمام البيضاوي: "الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته، ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال: وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى" [2].

وهذان المعنيان الذان ذهب إليهما الخلف من أهل السنة والجماعة في معنى الاستواء راجحان وإن كنت أميل إلى الثاني وهو رأي الأكثرين.

رأي المشبهة والمجسمة في معنى هذه الآية:

ذهب هؤلاء إلى تفسير هذه الآية وأشباهها بما لا يتفق مع كمال الله تعالى وجلالة ففسروا الاستواء على العرش بالجلوس عليه والاستقرار فيه كما يجلس ويستقر البشر، يقول الإمام الرازي: "المسألة الثانية: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش" [3].

وجاء في التفسير الوسيط: "وأَما تفسير الاستواء على العرش بالاستقرار فيه كما تقول المشبِّهة، فهو باطل وكفر {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)" [4].

فهذه الفرقة ضلت ضلالًا بعيدًا؛ حيث شبهت الحق جل في علاه بخلقه ونسبت له النقائص، فساووا بينه وبين خلقه وألصقوا به ملا يليق بجلاله وكماله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج ٦ صـ ١٠٠٧.

(٢) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين البيضاوي ج٤ صـ٢٣.

(٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ج٢٢ صـ ٨.

(٤) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج ٦ صـ ١٠٠٧.

رأي الإمام ابن تيمية في معنى هذه الآية:

يتلخص رأي الإمام ابن تيمية في إثبات هذه الصفة لله تعالى مع عدم المماثلة والمشابهة فيرى أن الله تعالى قد استوى على العرش لكن استواءه ليس كاستوائنا، فهو عنده فوق العرش حقيقة، وذاته فوق ذات العرش يقول الإمام ابن تيمية: "**وكذلك الأئمة، كانوا إذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه، بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية، كقول مالك بن أنس ــ لما سئل عن قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : ٥] كيف استوى، فقال: الاستواء معلوم، والكَيْفِ مَجْهُول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك ربيعة قبله. وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره. وقد بين أن الاستواء معلوم كما أن سائر ما أخبر به معلوم، ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها، لا يقال: كيف استوى. ولم يقل مالك: الكيف معدوم، وإنما قال: الكيف مجهول. وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة، غير أن أكثرهم يقولون: لا تخطر كيفيته ببال، ولا تجري ماهيته في مقال، ومنهم من يقول: ليس له كيفية ولا ماهية. فإن قيل: معنى قوله: (الاستواء معلوم): أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم، كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر اللّه بعلمه. قيل: هذا ضعيف؛ فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية. وأيضًا، فلم يقل: ذكر الاستواء في القرآن، ولا إخبار اللّه بالاستواء، وإنما قال: الاستواء معلوم. فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، لم يخبر عن الجملة. وأيضًا، فإنه قال: (والكيف مجهول)، ولو أراد ذلك لقال: معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء، وهذا شأن جميع ما وصف اللّه به نفسه، لو قال في قوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه : ٤٦] كيف يسمع وكيف يرى؟ لقلنا: السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول، ولو قال: كيف كلم موسى تكليمًا؟**

لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم. وأيضًا، فإن من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة، يقرون بأن اللّه فوق العرش حقيقة، وأن ذاته فوق ذات العرش، لا ينكرون معنى الاستواء، ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية. ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة. قال بعضهم: ارتفع على العرش، علا على العرش. وقال بعضهم عبارات أخرى، وهذه ثابتة عن السلف، قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخر كتاب: [الرد على الجهمية]. وأما التأويلات المحرفة؛ مثل استولى وغير ذلك، فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية (١).

وقد تابعه في ذلك جماعة من المفسرين المعاصرين (٢).

الحكم على هذا الرأي:

١ – ينسب الإمام ابن تيمية هذا الرأي للسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ويزعم أنه لا خلاف بينهم في ذلك وأن مذهبه هو مذهب أهل السنة والجماعة فقط، وهذا غير صحيح كما بينت سابقا (٣).

٢ – يستدل الإمام ابن تيمية بأقوال السلف الصالح التي يقولون فيها إن الاستواء معلوم أو غير مجهول والكيف هو المجهول، ففي رأيه ما دام الاستواء معلوما فلم نؤوله؟ وقد بينت سابقا أن معنى قولهم: الاستواء معلوم أن معناه في اللغة معلوم وهو مستحيل على الله تعالى فلذلك نفوا العلم بالكيفية، أما لو كان معلوما في حق الله تعالى فذلك يناقض قولهم: إن الكيف مجهول.

(١) مجموع الفتاوى ج٢ صـ ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) يُنظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ / محمد الأمين الشنقيطي ج٢ صـ٢٨، وما بعدها، والتفسير المنير للدكتور/ وهبة الزحيلي ج١٦ صـ ١٨٠، وتفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ/ عبد الرحمن السعدي صـ٥٠١.

(٣) يُنظر المبحث الأول من الفصل الأول مذهب السلف (المفوِّضة) في متشابه الصفات صـ٢٠ وما بعدها.

٣ – يسوي الإمام ابن تيمية بين الاستواء وغيره من صفات الله تعالى الأخرى كالعلم والسمع والبصر، وهذا باطل لأن الأولى تقتضي مشابهة الله تعالى لخلقه، وتقتضي أن يكون جسما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، أما الأخرى فلا تقتضي ذلك.

٤ – يرى الإمام ابن تيمية أن الله تعالى فوق العرش حقيقة، وأن ذاته فوق ذات العرش، وهذا باطل؛ لأنه متناقض؛ إذ كيف يكون استواؤه غير استوائنا مع إثبات أنه فوق العرش وأن ذاته فوق ذات العرش، فما الفرق بين الاستوائين إذا؟

٥ – يرمي الإمام ابن تيمية الخلف (المؤولين) من أهل السنة والجماعة بالبدعة، مع أن المتأمل يجد أنه هو المبتدع في هذا المقام؛ فقد خالف أهل السنة والجماعة من السلف والخلف وأتى بما لم يأت به أحد ممن سبقه.

المبحث الثاني: قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ (الفتح: ١٠).

هذا جزء من آية والآية بتماها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠).

وقد وردت بعض آيات أخرى تتحدث عن اليد بصيغة الإفراد والتثنية معا، كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤). وبصيغة التثنية فقط كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ (ص: ٧٥)، وبصيغة الجمع كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧).

وكل هذه الآيات تتحدث عن نسبة اليد أو اليدين أو الأيدي لله عز وجل، ولأن معنى اليد المعروف من لغة العرب هو الجارحة، ولما كان ذلك مستحيلا في حق المولى عز وجل، فقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية وأشباهها، وقد بينت مذاهب العلماء في متشابه الصفات عموما، وسأبين هنا بمشيئة الله تعالى آراءهم في هذه الآية وأشباهها بادئًا برأي أهل السنة والجماعة من السلف والخلف ثم رأي المشبهة والمجسمة والإمام ابن تيمية.

رأي السلف (المفوّضة) في معنى هذه الآية:

ذهب هؤلاء إلى تفويض معني هذه الآية إلى الله تعالى وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظاهرها المستحيل، يقول الشيخ/ محمد الأمين الهرري: " **تنبيه هام: وهذا الذي ذكرناه من الأقاويل: مذهب أهل التأويل، وكلامهم في هذه الآية، ومذهب أهل السلف، وهو الأصحّ الصحيح، والأسلم السليم: السكوت عن التأويل، وإمرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها، والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، والله أعلم بمعنى كلامه وأسرار كتابه" (١).**

وجاء في التفسير الوسيط: " **والسّلف يأخذون بظاهر الآية كما جاءت مع تنزيه الله – تعالى – عن الجوارح وصفات الأجسام، وكذلك يفعلون في جميع المتشابهات يقولون: إن معرفة حقيقة ذلك فرع معرفة حقيقة الذات، وأنّى ذلك وهيهات هيهات" (٢).**

ويقول الإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي: "**ومذهب السلف في هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات: أنه يجب الإيمان بها، وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله– تعالى– وترك تأويلها مع تنزيهه– تعالى– عن حقيقتها، لاستحالة مشابهته– تعالى– بالحوادث، كما قال– سبحانه–: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(٣).**

يُستخلص مما سبق أن مذهب السلف رضوان الله عليهم في تفسير هذه الآية هو عدم التعرض لتفسيرها وتفويض معناها لله عز وجل مع تنزيهه تعالى عن ظاهرها المستحيل الذي يستلزم الجسمية ومشابهة الله تعالى للحوادث.

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج٢٧ صـ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٩ صـ٩٨٩.

(٣) التفسير الوسيط ج١٣ صـ ٢٦٥.

رأي الخلف (المؤوِّلة) في معنى هذه الآية:

ذهب هؤلاء إلى تأويل معنى هذه الآية بما يتناسب مع جلال الله تعالى مع صرف ظاهرها المستحيل من معناها الحقيقي المتبادرة للذهن، وقد أولوها بمعان متعددة، منها:

١ – أن المراد نعمة الله تعالى عليهم في الهداية فوق إحسانهم إلى الله تعالى وهو ما صنعوا من البيعة، وذلك كقوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات: ١٧) وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله" [(١)]، ويُنسب هذا القول للكلبي والزجاج، وهو قول الأكثرين [(٢)].

٢ – أن المراد بيد الله تعالى قوته وقدرته ونصره، ويُنسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى – حديث رقم (١٣٦١) ج٢ صـ٥١٨.

(٢) يُنظر تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان الأندلسي ج٩ صـ٤٨٦، ٤٨٧، وتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد البغوي ج٧ صـ٣٠٠، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين النيسابوري ج٦ صـ ١٤٦، ١٤٧، والتفسير البسيط للإمام الواحدي ج٢٠ صـ٢٩١، ٢٩٢، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين الرازي ج٢٨ صـ٧٣، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد بن عطية الأندلسي ج٥ صـ١٢٩، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله القرطبي ج١٦ صـ٢٦٧، ٢٦٨، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ج٤ صـ١٣٠.

(٣) يُنظرتفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان الأندلسي ج٩ صـ٤٨٦، ٤٨٧، وتفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين النيسابوري ج٦ صـ ١٤٦، ١٤٧، والتفسير البسيط للإمام الواحدي ج٢٠ صـ٢٩١، ٢٩٢، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين الرازي ج٢٨ صـ٧٣، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد ابن عطية الأندلسي ج٥ صـ١٢٩، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ج٤ صـ١٣٠، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ج٩ صـ٩٨٩، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي ج١٣ صـ ٢٦٥، ٢٦٦.

٣ – أن حفظ الله تعالى إياهم على البيعة أقوى من وضع يد ثالث على أيدي المتبايعين لحفظ أيديهما إلى أن يتم العقد لا يترك واحدًا منهما أن يقبض يده إلى نفسه، ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع، فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببًا لحفظ البيعة، فلذلك قال تعالى: {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يحفظهم، ويمنعهم عن ترك البيعة، كما يحفظ المتوسّط أيدي المتبايعين [١].

٤ – أن المراد يد الله تعالى بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء بالعهد حين بايعوك، ويُنسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل رحمه الله وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ١١١) [٢].

٥ – أن المراد يد الله تعالى في الثواب فوق أيديهم في الوفاء [٣].

٦ – أن في الكلام تشبيهان فيه وفيما قبله والتقدير إن الذين يبايعونك كأنهم يبايعون الله تعالى وكأن يد الله تعالى فوق أيديهم، وحذفت أداة التشبيه للمبالغة في التأكيد [٤].

(١) يُنظر تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للإمام نظام الدين النيسابوري ج٦ صـ ١٤٦، ١٤٧، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله فخر الدين الرازي ج٢٨ صـ٧٣، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج٢٧ صـ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) يُنظر التفسير البسيط للإمام الواحدي ج٢٠ صـ٢٩١، ٢٩٢، وتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للإمام أبي محمد البغوي ج٧ صـ٣٠٠، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله القرطبي ج١٦ صـ٢٦٧، ٢٦٨، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ج٤ صـ١٣٠، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي ج١٣ صـ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) يُنظر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله القرطبي ج١٦ صـ٢٦٧، ٢٦٨، وتفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ج٤ صـ١٣٠.

(٤) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج٢٧ صـ ٢٤٤، ٢٤٥.

٧ – أن في الكلام تخييل والمراد أن يد رسول الله التي تعلو أيديهم كيد الله تعالى مصداقًا لقوله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ (النساء: ٨٠) (١).

٨ – أن في الكلام حذف مضاف والتقدير يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق أيديهم (٢).

تعليق وتعقيب:

يتضح مما سبق أن الخلف من أهل السنة والجماعة قد فسروا اليد في الآية الكريمة بمعان متعددة على سبيل المجاز كما في الخمسة الأول، وكلها معان متقاربة ويحتملها اللفظ، وتشهد لها لغة العرب، ولا مانع من إرادتها جميعًا؛ إذ لا تعارض بينها، فالاختلاف بينها من قبيل التنوع لا التضاد، وإن كان أقربها الأول والثاني لكثرة استعمال اليد فيهما، أما السادس والسابع والثامن فقريبون أيضا ولا مانع من تخريج الآية على أحد منهم، وإن كنت أميل إلى الأول والثاني، وعلى كل فحمل الآية على معنى من المعاني السابقة أو أكثر يتوافق مع تنزيه الله تعالى ويتفق مع جلاله وكماله، ولا يتعارض مع لغة العرب.

رأي المشبهة والمجسمة في معنى هذه الآية:

لا يختلف رأي هؤلاء في هذه الآية عن موقفهم في آية الاستواء السابقة فقد ذهبوا إلى تفسير هذه الآية وأشباهها بما لا يتفق مع كمال الله تعالى وجلالة ففسروا اليد في هذه الآية بالجارحة، وزعموا أن لله تعالى يد حقيقية كأيدينا،

---

(١) يُنظر تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير) للإمام أبي حيان الأندلسي ج٩ صـ٤٨٦، ٤٨٧، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات النسفي ج٣ صـ٣٣٥، ٣٣٦، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم الزمخشري ج٤ صـ٣٣٥.

(٢) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج٢٧ صـ ٢٤٤، ٢٤٥.

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، قال الإمام بدر الدين بن جماعة: "وهم الّذين نسبوا الله تَعَالَى إِلَى الجسمية وأسندوا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ كثيرا مِمَّا يسند إِلَى الْجِسْم معَاذ الله" [١].

ويقول الإمام الشهرستاني: "وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء، والوجه، واليدين، والجنب، والمجيء، والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام" [٢].

فهذه الفرقة ضلت ضلالًا بعيدًا حيث شبهت الحق جل في علاه بخلقه ونسبت له النقائص فساووا بينه وبين خلقه وألصقوا به ملا يليق بجلاله وكماله تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

رأي الإمام ابن تيمية في معنى هذه الآية:

لا يختلف رأي الإمام ابن تيمية في معنى هذه الآية عن رأيه في معنى آية الاستواء السابقة فقد ذهب إلى إثبات هذه الصفة لله تعالى مع عدم المماثلة والمشابهة فيرى أن لله تعالى يدًا لكنها ليست كأيدينا، وذلك كما أن له سمعًا وبصرًا لكن ليس كسمعنا وأبصارنا، وقد رددت على كلامه سابقًا في المبحث الأول من هذا الفصل عند الحديث عن قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥) وهو يغني عن إعادته هنا والله تعالى أعلى وأعلم [٣].

تنبيه مهم:

يُلاحظ من هذه الآية أن موضوع اليد ونسبتها إلى الله عز وجل ليس مقصود الآية الأول بل إن السياق يتحدث عن نعمة الله تعالى وتأييده ونصره للمؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة يوم الحديبية وهذا هو المعنى الرئيس الذي تتحدث عنه الآية وهو ما يوافق رأي الخلف من

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل صـــ٢٧.

(٢) الملل والنحل ج١ صـــ ١٠٥.

(٣) يُنظر صـــ ٥١، ٥٢.

أهل السنة والجماعة في معنى هذه الآية أما نسبة اليد لله تعالى من عدمها فأمر ثانوي في الآية، فالله سبحانه وتعالى أراد من هذه الآية إخبارنا أنه مع المسلمين ومؤيدهم وناصرهم على عدوهم وذلك كله من تمام نعمته عليهم وذلك ظاهر عند تأمل الآية بتمامها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠)، والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الثالث: **قوله تعالى** ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (**الرحمن**: ٢٦ ـ ٢٧).

القول في هذه الآية كغيرها من الآيات السابقة فالسلف رضوان الله تعالى عليهم يفوضون معنى الوجه المذكور في الآية لله عز وجل مع تنزيهه تعالى عما لا يليق به عز وجل من صفات المخلوقين مصداقًا لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)، والخلف من أهل السنة والجماعة يؤلون الوجه المذكور في الآية بالذات فيقولون إن المراد به ذاته سبحانه وتعالى، أما المشبهة والمجسمة فيرون أن لله تعالى وجهًا كوجوهنا تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، أما الإمام ابن تيمية فيرى أن لله تعالى وجهًا لكنه ليس كوجوهنا، والذي أريد أن أبينه من تناولي لهذه الآية بالتحديد ما يلي:

١ – أن غالب المفسرين قد فسروا هذه الآية وفقًا لمذهب الخلف من أهل السنة والجماعة، وبينوا أن المراد بالوجه الذات وأن معنى الآية أن كل ما على الأرض يفنى إلا الحق جل في علاه [1].

٢ – أن مذهب الخلف من أهل السنة والجماعة من أن المراد بالوجه الذات هو المذهب الحق في تفسير هذه الآية فسياق الآية لا يحتمل إلا ذلك؛ فما قبلها يتحدث عن أن كل ما على الأرض سيفنى إلا الحق عز وجل وما بعدها

(١) يُنظر تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام أبي محمد ابن عطية الأندلسي ج٥ صـ٢٩٩، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام أبي سعيد البيضاوي ج٥ صـ١٧٢، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي ج٨ صـ١٨٠، والبحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان الأندلسي ج١٠ صـ٦٢، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للإمام أبي القاسم الزمخشري ج٤ صـ٤٤٦، ٤٤٧، وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء ابن كثير ج٧ صـ٤٥٦، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٤ صـ٢١٠، وتفسير ابن جزي الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام ابن جزي الكلبي ج٢ صـ٣٢٩، و تفسير الشوكاني (فتح القدير) للإمام محمد بن علي الشوكاني ج٥ صـ١٦٣، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي ج٢ صـ٢٣٦، ٢٣٧، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٩ صـ١٢١٤، والتفسير الوسيط للدكتور/ وهبة الزحيلي ج٣ صـ٢٥٥٨، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الشيخ/ محمد سيد طنطاوي ج١٤ صـ١٤٠.

يصف الوجه بذي الجلال والإكرام، وهي من صفات الحق عز وجل، فقد أخرج الإمام مسلم عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال: "كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذا انْصَرَفَ من صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وقال اللهم أنت السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " [(١)].

٣ – أن هذه الآية تؤيد مذهب الخلف من أهل السنة والجماعة في تأويل المتشابه كله، لأننا إذا أوجبنا التأويل في هذه الآية وهو الحق فما المانع من تأويل سواها؟ وإذا منعنا التأويل فيها لزم عليه أن الحق تبارك وتعالى سيفنى ما سوى وجهه، وهذا لا يقول به مسلم.

٤ – أن هذه الآية هي أبلغ رد على مذهب الإمام ابن تيمية في إثباته آيات متشابه الصفات مع نفي التشبيه، فلو قلنا إن لله تعالى وجهًا لكن ليس كوجوهنا، وهذا ما تدل عليه الآية للزم من ذلك أنه سيفنى ما عدا وجهه، وهذا كما قلنا لا يقول به مسلم، وإن قلنا إن لله تعالى وجها ليس كوجوهنا وهو في الآية المراد به الذات، فليس ذلك إلا قول الخلف من أهل السنة والجماعة، وإذا جاز ذلك في هذه الآية جاز فيما سواها، فليس أمام الإمام ابن تيمية ومن تبعه إلا الإقرار بإمكانية تأويل آيات متشابه الصفات، ويا ليتهم تابعوا السلف الصالح من أهل السنة والجماعة رضوان الله عليهم في التفويض أو الخلف من أهل السنة والجماعة في التأويل.

ولذلك أجد بعض المفسرين المعاصرين الذين تابعوا الإمام ابن تيمية في مذهبه من متشابه الصفات قد اختلفوا في تعاملهم مع هذه الآية، فمنهم من تابعه في إثبات صفة الوجه [(٢)]، ومنهم من تابع الخلف من أهل السنة والجماعة في تأويل الوجه بالذات [(٣)].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته – حديث رقم (٥٩١) ج١ صـ٤١٤.

(٢) يُنظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي ج٧ صـ٥٠١.

(٣) يُنظر تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) صـ ٨٣٠، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ/ أبي بكر الجزائري ج٥ صـ٢٢٨، والتفسير الوسيط للدكتور/ وهبة الزحيلي ج٣ صـ٢٥٥٨.

الخاتمة

بعد أن طفت في رحاب هذا الموضوع الشيق وبعد أن نهلت من ينابيع علمائنا وساداتنا الكرام، خلصت إلى بعض النتائج، منها:

١ – جاء في القرآن الكريم آيات تصف القرآن بأنه محكم وآيات تصفه بأنه متشابه وآيات تبين أن بعضه محكم وبعضه متشابه، ولا تعارض فهو محكم أي متقن، وهو متشابه أي يشبه بعضه بعضًا في الإتقان وبعضه محكم أي واضح الدلالة وبعضه متشابه أي خفي الدلالة.

٢ – اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ **(آل عمران: ٧). هل الواو في قوله** (وَٱلرَّٰسِخُونَ) **للاستئناف أو للعطف؟ فعلى الأول الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله، وعلى الثاني يعلمون تأويله، والراجح أن المتشابه ثلاثة أقسام: ما لا يستطيع أحد معرفته، وما يمكن لأي أحد معرفته عن طريق البحث والدراسة، وما لا يمكن إلا للراسخين في العلم معرفته، وعليهم يُحمل معنى الآية.**

٣ – هناك بعض الآيات تحدثت عن صفات الله عز وجل، كالعلم والسمع والبصر، وهي واضحة لم يختلف فيها العلماء، وهناك آيات أخرى تحدثت عن الله تعالى وظاهرها يفيد مشابهة الله تعالى للحوادث ويقتضي كونه جسمًا، وهو ما يُطلق عليه متشابه الصفات.

٤ – اختلف العلماء في متشابه الصفات على مذاهب متعددة، منها:

أ – مذهب السلف (المفوضة)

ب – مذهب الخلف (المؤوِّلة)

ج – مذهب المتوسطين بين السلف والخلف.

وهذه الثلاثة هي مذهب أهل السنة والجماعة في متشابه الصفات.

د – مذهب المشبهة والمجسمة (الإثبات مع التشبيه) وهو مذهب باطل لا يتفق مع كمال الله تعالى وجلالة تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

هـ – مذهب الإمام ابن تيمية (الإثبات مع عدم التشبيه)، وقد نسبه للسلف إلا أنه أخطأ رحمه الله تعالى في فهم مذهب السلف، ورأيه هذا وإن كان خطأً إلا أنه أخف وطأة من مذهب المشبهة والمجسمة، لكنه وإن نفي التشبيه عن الله عز وجل إلا أن إثباته للصفات يفتح بابًا للولوج إلى لُجَّة التشبيه.

٥ – أن مذهب أهل السنة والجماعة بآرائه الثلاثة في متشابه الصفات هو الصواب والأسلم وعلى المسلم أن يختار منها ما شاء ولا يُنكر على من اتبع أحدها.

٦ – من الممكن أن يُرجح رأي من الآراء الثلاثة لأهل السنة والجماعة في بعض الآيات ويُرجح آخر في آيات أخرى.

٧ – في بعض الآيات يكون الغرض الأساسي من الآية شيء آخر غير ما اختلف فيه العلماء حيث يكون ذكره عرضًا وليس أساسًا في الآية.

المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن، **للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.**

٢ – الأسماء والصفات، **للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.**

٣ – الأصلان في علوم القرآن، **للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.**

٤ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، **للشيخ/ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥.**

٥ – أيسر التفاسير، **للشيخ/ أبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.**

٦ – إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، **للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.**

٧ – البرهان في علوم القرآن، **للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.**

٨ – تاج العروس من جواهر القاموس، **للإمام أبي الفيض محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.**

٩ – التفسير البسيط، **للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد**

بن سعود، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

١٠ – تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، **للإمام أبي محمد محي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.**

١١ – تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، **للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.**

١٢ – تفسير ابن جزي الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل)، **للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.**

١٣ – تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير)، **للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.**

١٤ – تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، **للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.**

١٥ – تفسير أبي حيان (البحر المحيط في التفسير)، **للإمام أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.**

١٦ – تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، **للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.**

١٧ – تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، **للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.**

١٨ – تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، **للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.**

١٩ – تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، **للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.**

٢٠ – تفسير الشوكاني (فتح القدير)، **للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.**

٢١ – تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، **للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.**

٢٢ – تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، **للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.**

٢٣ – تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، **للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس**

الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٢٤ – التفسير المنير، **للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.**

٢٥ – تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، **للإمام أبي البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.**

٢٦ – تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، **للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.**

٢٧ – التفسير الوسيط (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، **للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد عوض – د/ أحمد محمد صيرة – د/ أحمد عبد الغني الجمل – د/ عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.**

٢٨ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، **لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.**

٢٩ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، **للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى.**

٣٠ – التفسير الوسيط، **للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.**

٣١ – دراسات في علوم القرآن، **للدكتور/ محمد بكر إسماعيل، دار المنار،**

الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٣٢ – الرد على الجهمية، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: بدر الدين بن عبد الله البندر، دار ابن الأثير – الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣٣ – سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي – خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣٤ – شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٣٥ – صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: الدكتور/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٦ – صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٧ – صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث– بيروت.

٣٨ – علوم القرآن، لنور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٩ – الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، للإمام شهاب الدين أحمد بن غانم النفراوي الأزهري المالكي، دار الفكر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤٠ – لسان العرب، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ.

٤١ – متن جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، **للإمام برهان الدين اللقاني.**

٤٢ – مجموع الفتاوى، **للإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.**

٤٣ – المدخل إلى علوم القرآن، **لمحمد داود النبهان، دار عالم القرآن – حلب، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.**

٤٤ – المستدرك على الصحيحين، **للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.**

٤٥ – مسند أحمد بن حنبل، **للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.**

٤٦ – المعجم الكبير، **للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء – الموصل، الطبعة: الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م.**

٤٧ – معجم مقاييس اللغة، **للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.**

٤٨ – المعجم المفصل في شواهد العربية، **للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.**

٤٩ – مقالات الإسلاميين، **للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.**

٥٠ – الملل والنحل، **للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.**

٥١ – مناهل العرفان في علوم القرآن، **للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.**